

أحلامٌ لجمهورية الكرامة

بقلم: كريم قاسم

مدرسة البشارة الأرثوذكسية

صاعد إلى الصف الثاني ثانوي

يلوّن الغروبُ وجهَ الشمس ليصرعها، ثم تنهضُ من جديد بأملٍ لا تردمُهُ خلواتُ الغيب، كذلك هو الوطنُ الذي قد يعيبه تقلُّبُ الأحوال، وتَجَتَّى القدر، وتعسُفُ أصحابِ السلطة، ويطعنهُ الرِّيحُ بمُدْبِيَةِ الآلام، ولكنه يبقى ثابتاً صابراً، يستعيرُ منه المواطنُ رباطةَ الجأشِ والعزيمة والإرادة الصلبة.

إنَّ شجاعةَ وطننا رغم محنِهِ يلهمُ الكائناتِ الحيّة، فيقاومُ الشجرُ غزوَ العواصفِ وصفَعَ الرياح، وتصبرُ الورودُ على ذبولها شتاءً للتألّقَ ربيعاً بثوبِ الفرح والفتنة، ويتمسكُ الناسُ بالأملِ لبيدّدوا أحزانهم بالبهجة، ويرسموا آمالهم بالحلم والسعي لبلوغه.

وطننا هو سرُّ الوجودِ الذي هو نقيضُ العدم، يبعثُ الروحَ في الجمادِ بنسائمِ الأمل، ويسنُّ القوّة والثباتِ ناموساً لهذا الكونِ الواسع. وقد قال ابنُ خلدون: "الشعوبُ الفقيرةُ تسوءُ أخلاقها". وقريباً، سيأتي عهدٌ جديدٌ لرئيسِ جمهوريةٍ جديد، يتعهدُ ويقسمُ اليمينَ على حمايةِ لبنانَ جسداً وروحاً وضميراً، وأن يكون أميناً على دستورهِ وقوانينهِ. ولهذا، أتوجّهُ إليه برسالةٍ من مواطنٍ يرى وطنه بنظرةِ الجيلِ الواعد، المتحرّر من أغلالِ التبعيةِ والعنجهيّةِ والطائفيةِ.

لهذا، أتوجّهُ إليه برسالةٍ تنمُّ عن آلامِ الشعبِ وتعكسُ همومهم لنخرجَ معاً من قفارِ العتمةِ إلى النور، ونرسمُ عهداً لجمهوريةٍ يكلّمها النجاح، ويدعمها السعي والتعاون والعملُ المشترك على إنقاذِ بلدنا بعيداً عن الأناييةِ والمصلحةِ الذاتية، فكما قال الشاعر الكبير أحمد شوقي: "إنّ التعاونَ قوّةٌ عُلوِيّةٌ تبني الرجالَ وتبدعُ الأشياء".

فيا سيدي الرئيس،

لقد ضاقتُ بنا السبلُ في وطنٍ مثقلٍ بالأحزان، تألّبتُ عليه المحنُ وتراكمتُ فيه معاناةُ أبنائه، والكثيرون منهم أودعوا همومهم وظنونهم وما تبقى من أحلامٍ في جعبةِ الذكرياتِ ورحلوا... اختاروا الهجرة، فهجروا منازلهم ليهرعوا وراء غدي مجهول فرضه عليهم حالُ الوطنِ الجريح، المثخن بتأوهاتِهِ، أحلامٌ ضاعتُ وتبخّرتُ بمبخرةِ الظلمِ الأليم. أغنوا وطنهم ولم يغنهم... غنوه فترتّجَ برشقاتِ الغدر من القريبِ قبل الغريب. وحدها الشرفَةُ بقيتُ تلوّحُ بمنديلِ الحنين، تخلّدُ أطيافاً رحلت عنها، وغدّتُ أشباحَ مسافرين على دربِ الغربةِ الطويل.

لم يتبقَّ لنا في من أملٍ سوى أن ننشدَ معك يا سيدي الرئيس مبادئَ الحرّيّة ونسعى إليها، فنعملُ على المطالبةِ بجعلِ لبنانَ بلداً علمانياً لا يحتكُمُ للسياسةِ الطائفيةِ، فمنذ حدّدتِ السلطةُ لكلّ منصبٍ سياسيٍ طائفةً محدّدة، مع العلم أنّ هذا القانون لم يذكر في الدستور، تفاقمتُ أزمنةُ التناحرِ الطائفي، وانتشرتُ ظاهرةُ السلاحِ المتفلسفِ بين الأحزاب، وانتقلتُ للمواطنين المدنيين، ليستخدم كوسيلةٍ لحربِ شوارع بين ملّةٍ وأخرى أو بين حزبين متنافرين، ولتتحدّرَ أخلاقُهم في مغاورِ سحيقةٍ خاليةٍ من الإنسانية. لذلك يجب أن يكون السلاحُ بيدِ الجيش وحده لتتوحّدَ صفوفُ المواطنين، ويقاوموا سويّاً العدوانَ الخارجيَ صفاً واحداً، لأنّ الاتّحادَ قوّةٌ تُفهِقُ العواصفَ العاتية.

وعلى الرئيس أن لا يبحازَ الى فريقٍ سياسيٍ دون الآخر، ويطبّقَ القانونَ بضميرٍ وتوازنٍ وانّتران، ويقومُ كخطوةٍ أولى بترتيبِ أولويّاتِ الوطنِ من كهرباء وماء وطرقاتٍ ومستشفيات وضمن اجتماعي وضمن شيخوخة، وأن يعرّزَ من دور المتعلّمين سواء في سلكِ القضاء أو التعليم أو الطبّ والتمريض وغيره، لتقلّص

عامل الهجرة الذي جعل وطننا يفتقد مبدعيه ومثقفيه ومفكره، فقد آن للمهاجرين أن يعودوا ليثروا لبنان بعقولهم وأفكارهم النيرة، ويجب أن يضع الرئيس في أوليات مشاريعه دور المرأة في بناء المجتمع، فيعزّز دورها ويسنّ قانوناً راسخاً لحمايتها من التعنيف، ولجعلها مخولة كالرجل على العمل والتنفيذ والتخطيط بديناميكية ومن غير ضغوط وممارسات ذكورية عليها.

كذلك، يأتي دورك سيدي الرئيس، في محاسبة السلطة الجائرة التي سبقتك، والتي ما برحت تملّي علينا بوقاحة شروطها وأوامرها، وتفخر بثرواتها اللاشرعية، ضاربة بعرض الحائط النزاهة والعدل، ناسية لنفسها مآثر وهمة باطلة، وأن تصرخ في وجوه العابثين بحدود لبنان وبهوية أبنائه ورغد عيشهم، حقّ عليك أن تنهض بالوطن وتحمي حقوقه، وتحذّر من الفساد الذي روجّه أسياد الاستغلال ولصوص الحرية فيه، فلا تحكّم زوراً وبهتاناً، لتكون القائد الموحد للجميع.

وتتجلى مسؤوليتك أيضاً في فرض التعليم المجاني الالزامي، الذي يحزّز الانسان من الأمية والعبودية، ويمنح المواطن الفقير فرصة التقدم والتطور للأفضل. فلثقافة دورها الكبير في بناء الأوطان، فهي كالنهر المتدفق الذي تنفّرع روافده وتنوّع، لتملأ كؤوس الانسان بخمر المعرفة، وتغمره بنور الفكر والأدب والفلسفة والجمال.

ويبرز دورك ساطعاً مثل ضي الشمس في تشجيع التصدير المحلي للزراعة، والحلّ يكون بإنشاء تعاونيات تشتري الانتاج من المزارع بأسعار مرضية، وبالاتفاقات الموقعة بين دولتنا وباقي الدول التي نستورد منها، وخاصة أننا دولة مستوردة، فنفرض عليهم شراء الانتاج اللبناني، ونترك للمزارع اللبناني الاهتمام بجودة زراعته وإبلائها جلّ اهتمامه.

وفي عين الله تضطجع مأساة العائلات الفقيرة المنكوبة، التي لا تكاد تسد رمق أطفالها ببعض الطعام والقليل من الدواء، وعلى رئيس الوطن أن يوقّر لها الحماية بالقدر المعقول، الذي يخولها الحصول على مساعدات اجتماعية تدرأ عنها شبح الذل والفقير المدقع.

أيضاً تأتي محاربة العادات البالية والتقاليد الرجعية التي تبيح في بعض المناطق وللعشائر الأخذ بالثأر والقتل من أجل الدفاع عن الشرف، من مهامك الأولى سيدي الرئيس، لإبادتها ودحرها، من خلال الإيعاز للمؤسسات الناشطة مدنياً بتنظيم حملات توعية تحذّر من مغبة هذا الجرم وانعكاسه السلبي على المجتمع والانسان.

على الرئيس أن يكون وجهاً من وجوه الوطن الديمقراطي القوي، ينضج جبينه بالحرية، فالحرية هي اتكاء الأرواح في مهد الضمير، حيث الإيمان والتقوى وسعة البال، وحيث تغمض محاجر الفضيلة أهدابها في غفوة أمنة، بعيداً عن الأحقاد والضغائن والحسد والترهلات الروحية، وحيث يكون الإنسان رمزاً للإنسانية، لا شيء يهدد أمنه ما دام يسيّر واثق النفس، ولا زعزعة تنال منه أرقاً، أو تقض له مضجعاً، لأنّ باله مطمئن لسلكه وعلاقته بربه. فبذكر الرب مطمئن النفوس القلقة، وباحترام الأديان والانسان كذلك.

حقّ عليك أن تسدل على لبنان ظلال الأمن الذي هو قوائم المجتمع السليم، وهيكل العدل والإنصاف، وركيزة السلم الوطني والخلقي والإنساني، فقد جرّبنا الحرب فكانت النتيجة أنّ الشعب رزح تحت نير الاستعباد، وحاولنا التدخل في أمور الغير فانتصر الغير وسقطنا في قيعان القهر والحصار المجحف.

فحبذا يا سيدي الرئيس المقبل لو أننا نستفيق من سباتنا العميق لكي نعيد وطننا جديراً بترائه وتاريخه العريق، وندعم فيه المؤسسات والمصارف والجيش ومؤسسات الدولة والجامعات والمدارس.

إنّ التاريخ مقصلة الزمن لا يستثنى أحداً، فيجب أن يستيقظ الجميع لتتوحّد أيديهم ومساعدتهم، دون أيّ تحييز أو تمييز، لنعيد الى لبنان كرامته، ولينعم الجميع بوطن اسمه "لبنان الحلم".

نحنُ يا سيّدي الرّئيس في بلدٍ تجرّأت فيه القيمُ وتجهّمتُ عنده المبادئُ سافرةً عن وجهِ الظالمين، نرى هيكلاًنا الأمنيّ والوطنيّ تنقاصُ وتتقلّصُ معالمُه، فالحكمُ باتَ للسارقِ والمارقِ والحاقدِ والغارقِ في الشّهواتِ والغرائزِ والخطايا التي نهتُ عنها الأديانُ جميعاً، في بلدٍ دبّتِ الفوضى في طياتِ ثناياه ومختلفِ دوائره الرسميةِ والحكوميّةِ والبيئيّةِ والاقتصاديّةِ والأمنيّةِ. فالسالبُ والمسلوبُ، والقاتلُ والمقتولُ، هما ضحيتان لمجتمعٍ غاصَ في قاعِ الفسادِ حتّى أذنيه.

فلنمنحُ معاً يا سيّدي الرّئيس لبناننا حقّه في الحرّيّة، فلنحرّره من استعمارِ النفوسِ الشقيّةِ المستغلّةِ التي تدمّره، فما أجملَ الحرّيّةَ وهي ترقصُ جذلي في ثوبها، وترشّحُ عطراً من نحرها. هي امرأةُ الفصولِ والمواسمِ والرّقصِ المتوازن. هي سيّدةُ الحبِّ والرقيِّ والأمانِ الدائمة. هي إيقاعُ الزمنِ الآتي على وقعِ السنونو المحلّقِ إلى اللانهاية. وفقكم اللهُ يا سيّدي الرّئيس، وسدّدَ خطاكم في المرحلةِ المقبلة، وجعلكم سنداُ ومدداً لهذا الوطنِ الشامخِ.